رسالة فی

# ترتیب السلوک الی ملک الملوک

تألیف

## الشیخ جمال الدین محمد بن عمر بحرق الحضرمی


حققها و علق علیها و قدم لها

**الدکتور ظهور احمد اظهر أستاذ مساعد**

بجامعة پنجاب بلاہور

# مقدمه

إن النظرة العابرة فى تاريخ الآداب العربية لشبه القارة ـــ الهندية الباكستانية ـ تقود الناظر البصير إلى شئ من التقدير و الاكبار لما بذله علماؤنا من المجهودات الجبارة المثمرة فى خدمة اللغة العربية و علومها و آدابها ، رغم الظروف المعادية و البيئة غير الملائمة لمثل هذه المجهودات و الخدمات ، التى انتجت انتاجا باهرا ، و التى تركت آثارا مجيدة خالدة فى تاريخنا . إن هذا الانتاج الباهر و هذه الآثار المجيدة تجعلنا نفتخربها و تفرض علينا أن نقدرها كل تقدير و نعتنى بها كل اعتناء كتراث عظيم يجب الاحتفاظ به ؛ و كذلك فانه لا يمكن لاحد أن يتجاهل هذا التراث الغالى أو ينكر مكانتها بين الآداب العربية فى شتى البلاد الاسلامية على اختلاف العصور و الاجيال ـ

و لسنا نبالغ إذا قلنا أن مكتبة الآداب العربية فى شبه القارة لغنيّة جدا و تستحق كل إعجاب و تقدير و عناية من قراء العربية و الدارسين لآدابها ، و حتى من الناطقين بالضاد أنفسهم ؛ و فعلاً نراهم يقدرون لما أنتجه علماؤنا و يعتنون بما وصل اليهم من مؤلفاتهم العربية فمنهم من قام بنشرها و أنشأ من المكتبات و دور النشر و الطبع التى تهتم بمؤلفات العلماء الهنديين اهتماما خاصا كمكتبة الخانجى بالقاهرة ، و منهم من عنى بها دراسة و شرحا حتى أن المناهج الدراسية للازهر الشريف تضم الكتاب حجة الله البالغة للامام ولى الله الدهلوى الى جانب المؤلفات القيمة الاخرى لعلماء شبه القاره كالشيخ عبدالحكيم السيالكوتى و الاستاذ الكبير عبدالعزيز الميمنى و غيرهما ـ

و مما يجدر الاشارة اليه بهذه المناسبة هو أن الدراسة المقارنة للاداب العربية فى الاندلس و شبه القارة قد لا ترضى الكثير من الباحثين فقد دخلت اللغة العربية فى كلا القطرين فى وقت واحد و ذلك فى نهاية القرن الاول الهجرى مع الفتح الاسلامى ، الا أن العربية و علومها لم تتقدم و لم تزدهر فى شبه القارة كتقدمها و ازدهارها فى الاندلس ؛ أما السبب فى ذلك فهو أن اللغة العربية لم تتمكن من أن تحتل مكانتها المرموقة فى القطر الهندى فى أية مرحلة من مراحل تأريخنا الطويل المحيط بعديد من القرون ؛ أما فى الاندلس الاسلامية فان اللغة العربية كانت قد احتلت مكانة سامية اذ اصبحت لغة رسمية للبلاد و لغة التخاطب و الآدب و العلوم ـ

ان العقبة الوحيدة التى و قفت فى سبيل اللغة العربية فى شبه القارة و عرقلت سير تقدمها و ازدهارها هى اللغة الفارسية ! و من ثم لم تكن العربية لغة رسمية للهند الاسلامية الا فى الفترة القصيرة التى تلت الفتح الاسلامى على يد القائد المسلم محمد بن القاسم الثقفى و هى مدة الحكم العربى فى بلاد السند و بنجاب و ما جاورهما من مناطق باكستان حاليا ـ ثم انقطعت الصلة المباشرة بين العالم العربى و شبه القارة و اصبحت الفارسية لغة البلاط و المكاتب الحكومية لجميع الدول الاسلامية التى قامت فى شبه القارة فى شتى الازمنة و العصور ، و قد كانت ، و لم تزل الى انقراض الامبرا طورية المغولية ، لغة التخاطب و التعبير و وسيلة التكسب الى جانب كونها أداة التربية و التعليم فى المدارس و المعاهد العلمية ؛ أما العربية فانها كانت قد أهملت إهمالا و أصبحت تعيش كانها لغة أجنبية إذ أعرض عنها المثقفون لانها لغة صعبة المنال واسعة النطاق ، و لان الفارسية و آدابها كانت قد شغلتهم عن العربية و أغنتهم عن علومها و آدابها حتى أن البعض منهم كانوا يعتقدون أن الدين الاسلامى يمكن أن يتعلموه و يعرفوا مبادئه بدون أن يحتاجوا الى معرفة اللغة العربية و قواعدها كما يزعم البعض من الفضلاء

فى باكستان أن الواحد يستطيع أن يفهم القرآن الكريم و مصادر التشريع الاسلامى الاخرى بدون معرفة العربية و قواعدها و ذلك من طريق ما كتبه المستشرقون باللغات الاوربية أو ما كتبه علماء المسلمين باللغة الاردوية !

و مع هذا كله فان اللغة العربية لم تزل و لن تزال تعيش فى هذه البلاد و تعلن وجودها رغم هذه الظروف المتعادية لانها لغة القرآن الكريم و الحديث النبوى و لغة الدين الاسلامى بجميع مصادره و معارفه ! و لان المسلم ، فى أى بلد كان و فى أية زاوية من زوايا العالم عاش ، لا يمكن أن يعيش أو أنه لايجوز له أن يعيش بدون معرفة اللغة العربية ، قليلها أو كثيرها و أن أول كلمة يسمعها المولود المسلم هى كلمة عربية أى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ! هذه الكلمة الطيبة الخالدة التى تمنح أساسا قويا لعقيدة المسلم و تطهره من رواسب الشرك و دنسه ! ثم أنه يسمع فى الاذان قبل الصلوات الخمس كلمات عربية تشبه تلك الكلمة نفسها !

و كذلك فان المسلم الصادق يجب أن يعرف العربية مادام يؤمن بالله وحده و رسوله العربى الصادق صلى الله عليه و سلم حتى و لو كان لا يجيد القراءة و الكتابة أو لم يكن يعرفهما أصلا ، لان من الواجب الدينى لكل مسلم أن يصلى الصلوات الخمس بالمواظبة و الالتزام ، و معلوم بأن الأدعية و الآيات الكريمة التى يقرأها المسلم أو يتضرع بها الى خالقه عز و جل فى صلاته هى كلها بالعربية و قد أجمع أهل العلم من الأمة الاسلامية على أن الصلوة أو الأدعية و الآيات التى تتلى فى الصلوات يجب أن تكون باللغة العربية و لايجوز ترجمتها إلى لغات محلية إلا إذا تعذر على الانسان أن ينطق بالكلمات العربية أو يحفظها و ذلك مؤقتا لا دائما ، لأن الصلوة و الدعاء و كذلك التلبية فى الحج باللغة العربية من ملامح الوحدة الاسلامية الخالدة ؛ فمعنى ذلك أن العربية و الاسلام متلازمان ، و أينما وجد الاسلام و أتباعه يجب أن توجد اللغة العربية معهم بأى شكل كانت و

على أى مستوى كان وجودها ، إذ كل مسلم ينطق و يتكلم أو يجب أن ينطق و يتكلم باللغة العربية قليلها أو كثيرها و على اختلاف مستوياتها !

و هذا مما يذكرنى قول النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال مرة : ''من تكلم بالعربية فهو عربى و من أدرك له أبوان فى الاسلام فهو عربى'' فهذا يدل على أن العروبة و الاسلام شئ واحد و أنهما كلاهما لايقومان على أسس الجنس و الدم و انما يقومان على الأسس الروحية الخالدة من الوحدة البشرية و الأخوة الاسلامية السمحة ؛ و مما يروى فى هذا الباب أن قيس بن مطاطة جاء إلى حلقة من حلقات أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم و فيهم صهيب الرومى و سلمان الفارسى و بلال الحبشى رضى الله عنهم فقال قيس : هذا الأوس و الخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بال هولاء (يعنى صهيبا و صاحبيه) ! فقام معاذ ابن جبل رضى الله عنه فأخذ بتلابيبه ثم أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قاله قيس فقام النبى صلى الله عليه وسلم مغاضبا يجر رداءه حتى دخل المسجد النبوى ثم نودى للصلاة فصعد المنبر فحمد الله و اثنى عليه ثم قال : ''اما بعد ! أيها الناس ! ان الرب رب واحد و الأب أب واحد والدين دين واحد و أن العربية ليست لأحدكم بأب و لا أم ، انما هى لسان فمن تكلم العربية فهو عربى'' أو كما قال صلى الله عليه وسلم ! فهذه هى الفكرة السامية التى ترفض فضل الجنس و الدم إطلاقا و تجعل من البشرية أمة واحدة يجب أن تعيش و تمشى على سنن العدل و الاخاء و المساواة ، و هذه هى الفكرة الخالدة نفسها التى شجعت علماء المسلمين دائما فى كل مكان أن يساهموا فى خدمة العربية و آدابها فقاموا بواجبهم نحو الدين و العربية فتعلموها و علموها و ألفوا بها مما أضاف إلى المكتبة العربية تراثا غاليا عظيما يجب الافتخار به و المحافظة عليه .

و علماء المسلمين فى شبه القارة لم يتخلفوا فى هذا الميدان و لم يهملوا واجبهم و إنما قاموا بما قام به أمثالهم من العلماء فى البلاد الاسلامية الأخرى أو المناطق التى دخلها الاسلام ، و قد ظهر فى هذه المنطقة ـ منطقة باكستان و الهند ـ عدد من العلماء الاعلام الأفذاذ قد خلدت الايام ذكراهم و ثبتت أمجادهم على وجه الدهور ؛ و علماؤنا هؤلاء يمكن أن نقسم إلى قسمين فقسم نشأ و تثقف فى شبه القارة و عاش فيها و قام بخدمة الدين و العربية من أمثال حسان الهند آزاد البلجرامى و الامام ولى الله الدهلوى و الشيخ عبدالحكيم السيالكوتى و الاستاذ الكبير عبدالعزيز الميمنى و غيرهم ، والقسم الثانى نشأ وترعرع فى البلاد العربية و تثقف فى مراكزها الثقافية ثم هاجر إلى شبه القارة فأقاموا بها و قاموا بخدمة اللغة العربية و تركوا آثارا مجيدة فى تاريخ الآداب العربية فى شبه القارة كالشيخ أبى بكر السورتى صاحب المقامات و ابن الدمامينى و عمر المكى صاحب "ظفر الواله بمظفر و آله" و من هؤلاء الفطاحل كان صاحبنا الشيخ محمد بن عمر المعروف ببحرق الحضرمى رحمه الله ـ

**مولده** : وقد ولد الشيخ الفقيه الامام البارع اللغوى الأديب الشاعر المتفنن القاضى العادل جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بن عبدالله بن على الحميرى الحضرمى اليمانى الشافعى العيدروسى الشهير ببحرق الحضرمى ـ رحمه الله ـ فى ليلة النصف من شهر شعبان سنة تسع و ستين و ثمانمئة[1] بحضرموت فنشأ بها و ترعرع ، وقد كانت حضرموت فى تلك الحقبة من تاريخها مركزا ممتازا من المراكز الثقافية العربية يرجع إليها طلاب العلم و يتوا فدون عليها من أقاصى البلاد فيتعلمون من علماءها ، وهنا بدأ الشيخ بحرق دراسته وكان ذكيا جدا فحفظ القرآن الكريم أول ماحفظ ثم اخذ يحفظ المتون العربية المتداولة فى ذلك الوقت فحفظ معظم الحاوى و منظومة البرماوى فى الأصول

---

١ـ النور السافر ص ١٤٦ ، الضوء اللامع ٨ : ٢٥٣ ـ

و الفية ابن مالك بكمالها فى القواعد العربية و غير ذلك -[١]

رحلته للدرس و التحصيل : ثم نرى الشيخ بحرق الحضرمى يرتحل رحلة طويلة للطلب و التحصيل و يسافر من أجل العلم اسفارا بعيدة فيزور كثيرا من المراكز الثقافية فى البلدان و العواصم العربية فارتحل رحلته الأولى إلى عدن و بها كان الشيخ الامام عبدالله بن احمد مخرمة العدنى المتوفى ٩١١ هـ قبلة للدارسين و المتوافدين ، فلازمه الشيخ بحرق مدة طويلة و درس عليه العربية و قواعدها و آدابها و الفقة و أصوله و العقائد و مبادئها و استفادمنه كثيرا حتى أن المصادر عن ترجمة الشيخ بحرق تكاد تجمع على صراحة القول بأن جل انتفاع الشيخ بحرق الحضرمى كان بالشيخ مخرمة العدنى المذكور -[٢]

ثم نرى الشيخ بحرق يسافر من عدن الى مركز ثقافى آخر كان قد أصبح من أكبر المراكز الثقافية و أهمها فى المنطقة فى ذلك الوقت ، و هى مدينة زبيد باليمن ، و كان بها عددا كبيرا من العلماء البارزين المتضلعين فى أنواع العلوم العربية و المعارف الاسلامية فأكمل الشيخ بحرق دراساته بزبيد و قرأ على فضلائها الأعيان من علوم التفسير و الحديث و الاصول و الفقه و العقائد إلى جانب قواعد اللغة العربية و آدابها[٣] ؛ و ممن استفاد منهم الشيخ بحرق الحضرمى : الشيخ محمد بن احمد باجر فيل الحضرمى المتوفى ٩٠٣ هـ و الشيخ جمال الدين محمد بن ابى بكر الصائغ المتوفى ٩٢٠ هـ و الشيخ زين الدين محمد بن عبداللطيف الشرجى و الشيخ محمد بن احمد بافضل و الشيخ السيد الشريف الحسين بن عبدالرحمن الأهدل و غيرهم -

---

١- نفس المرجع -
٢- الزهراء ٤ : ٩٦ ، النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ ؛ ٣٠٨ -
٣- نفس المرجع -

**التصوف و الطريقة** : و بينما هو يقيم فى مدينة زبيد و يستفيد من علمائها و يتنقل بين مجالسها و نواديها إذابه يميل إلى التصوف و الطريقة كما كان يميل إليها العلماء من أمثاله فى ذلك العصر الذى يتميز بنزعاته المتصوفة و حركات الصوفية المختلفة فى شتى البلاد الاسلامية فاتصل الشيخ بحرق بالطريقة العيدروسية المتعارفة فى بلاد حضرموت و عدن و اليمن و المدن الساحلية الأخرى فانضم الى هذه الطريقة و بايع على يد صاحبها الشيخ ابي بكر الحسين بن عبدالله العيد روس المتوفى سنة ٩١٧هـ ثم اتصل بابنه الشيخ أحمد بن الحسين العيدروس المتوفى سنة ٩٢٢هـ كما أنه أفاض عليه من المتصوفة و أصحاب الطرق الشيخ الامام السيد الشريف الحسين بن عبدالرحمن الاهدل الذى البسه خرقة التصوف[1] -

و مما يجدر الاشارة اليه بهذه المناسبة هو أن صاحب النور السافر قدحكى عددا من الكرامات للشيخ بحرق الحضرمى التى صدرت منه فى حضرة الملك المظفر و صرح بأنها ترجع كلها الى بركة الشيخ العيد روس المذكور ولنستمع الى بعض مايحكيه فى ذلك فيقول إن الشيخ بحرق الحضرمى كان قد حضر مجلس بعض الوزراء للملك بالهند و كان فى ذلك المجلس رجل من الساحرين يأتى بالشعابذ الغريبة فبيناهم كذلك اذا ارتفع ذلك الساحر و قعد فى الهواء ؛ قال الشيخ بحرق : فوقع فى قلبى شئى من ذلك الباطل و استغثت بالنبي صلى الله عليه و سلم و أومات الى الساحر بفردة — من حذائى فمازالت تضربه و هو معلق فى الهواء الى أن رجع مكانه بالأرض ؟ و مما حكاه شمس الشموس بهذه المناسبة أنه وقع بينه — أى الشيخ بحرق — و بين بعض وزراء الملك المظفر بحث فاحتقره ذلك الوزير مما أغضب الشيخ و

---

١- النور السافر ص ١٤٦ -

أحزنه فدعا على الوزير و انصرف ثم حدث بعد ذلك حادث جعل الوزير يندم على ما فعله بالشيخ و جاء يرجوه العفو والسمح عنه و هو أن الملك أصدر الامر بنهب بيت الوزير و مصادرة مايملكه ففزع الوزير الى الشيخ معتذرا مستعطفا و قدم له شيئا من الصلة و الهدية و طلب منه الدعاء له فحسب أنه فعل ذلك و اذا بالخبر يأتيه من عند السلطان بالاجلال و التعظيم و يرد جميع مانهب له من الأموال و أن الذى وقع من ذلك انما كان غلطا و خطأ فان الملك كان قد أصدر ذلك الأمر عن وزير آخر غيره ، و يصرح شمس الشموس صاحب النور السافر بأن هذه الكرامات ترجع الى أم الفقيه بحرق و كانت من جوارى الشيخ العيدروس و كان الناس يرون أن تلك البركة كانت فى الشيخ بسبب هذه الأم[1] !

**الحج و الزيارة :** و تكاد تجمع المصادر و المراجع عن حياة الشيخ بحرق الحضرمى أنه خرج حاجا يقصد الحرمين الشريفين فى سنة أربع و تسعين و ثمانمئة من الهجرة النبوية فقدم مكة المكرمة و قابل بها الشيخ العلام الحافظ أبا عبدالله شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى القاهرى الشافعى المتوفى ٩٠٢ هـ فاخذ عنه و استفاد وسلك السلوك فى التصوف عنده ، وقد ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع و اثنى عليه كثيرا كما أنه انشد نبذة يسيرة من جيد شعره ؛ و يبدو أن الشيخ بحرق لم يمكث طويلا فى الحرمين و انما رجع سريعا الى بلاد اليمن بعد الحج كما يؤمى اليه كلام السخاوى نفسه ، الا أن هذه الرحلة كانت مباركة خصبة فقد استفاد فى خلالها من العلماء من امثال الامام السخاوى و اخذ عنه التصوف و الطريقة الى جانب اداء حجة الاسلام و زيارة الحرمين الشريفين[2] -

---

١- نفس المرجع -

٢- الضوء اللامع ٨ : ٢٥٣ -

**اولاد الشيخ بحرق** : لاتنص المصادر عن حياة الشيخ على أولاده الا أن السخاوى وغيره من المترجمين للشيخ بحرق يصرحون بانه كان قد تزوج و رزقه الله بالاولاد أما عن كيفية ما رزق به فاننا لانعرف فى ذلك شيئا ، كل ما ذكره السخاوى فى ذلك هو أن الشيخ بحرق كان قدصاهر الشيخ حمزة بن عبدالله بن محمد بن على بن ابى بكر التقى الناشرى المولود فى شوال ٨٣٣هـ و المتوفى بمكة فى ٨٨٦هـ ؛ و الظاهر البديهى أن الشيخ الناشرى كان قدتوفى قبل عقد القران بثمانى سنوات ، وقد كان من علماء اليمن و تلاميذ السخاوى كما صرح به فى الضوء اللامع[١] -

**منصب القضاء** : و مما يدل على مكانة الشيخ العلمية و علو كعبه فى الفقه الاسلامى و فروعه أنه أسند اليه منصب القضاء فى الشحر وهى صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن و عمان ، دعاه اميرها أن يحتل هذا المنصب ، فتولاه لمدة يسيرة فصدع بالحق و حمدت أحكامه و حسنت سيرته الى أن استقال و عزل نفسه من هذا المنصب لأسباب لايعرفها الا الله[٢] -

**فى عدن** : و من الشحر خرج الشيخ بحرق يقصد مدينة عدن التى كان بها ضريح أستاذه و شيخ طريقته ابى بكرالعيد روس فاستقبله أهلها ورحبوا به ترحيبا و اجتمع حوله جموع من المستفيدين منه و القارئين عليه حتى أنه تلقى القبول العام و الجاه التام عند امير عدن و هو مرجان العدنى ، وقد كان يحب العلم و أهله و ينفق عليهم من خزائنه و يقدرهم كل التقدير ، فلم يزل الشيخ بحرق الحضرمى فى بلاطه و حاشيته يفيد العامة بعدن و يفيض العلم على أهلها الى ان مات الامير مرجان فى نهاية العقد الثالث من القرن العاشر الهجرى[٣] -

---

١- ٨ : ٢٥٣ -
٢- النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ -
٣- نفس المرجع -

**فى ولاية كجرات بالهند :** وقد كان أهل العلم فى البلاد العربية و العواصم الشرقية يسافرون الى الأندلس ، اذا لم يجدوا لهم من بقدرهم ويقوم بما يحتاجون اليه ، ليتمتعوا بمالدى الخلفاء الأمويين أو ملوك الطوائف من الحفاوة و التقدير للعلم و أهله أويحتلوا مكانة فى نفوس الشعب المسلم الأندلسى الذى لم يكن أقل تقديرا للعلم و أهله من الملوك و الحكام و الأمراء الا أن ذلك لم يدم فاحتاج أهل العلم من العواصم العربية الشرقية أن يعبروا البحر فى ناحية من النواحى فلم يكن أمامهم طريق غير الطريق الى شبه القارة الا أن أسواق العربية و علومها فى هذه البلاد لم تكن نافقة كما كانت فى الأندلس لأسباب قد ألممنا بها الماما فى بداية هذا البحث ، و لكنه لابد مما ليس منه بد ، فارتحل الشيخ بحرق الحضرمى من عدن بعد أن توفى بها ولى نعمته مرجان أمير عدن ، و ركب البحر يقصد ولاية كجرات التى كانت تحكمها أسرة مالكة من المسلمين تقدر العلم و أهله و تنفق عليهم من خزائنها و تقربهم فى بلاطها و حاشيتها .

و فى هذه الفترة من التاريخ التى وصل الشيخ الى الهند فى خلالها كان يحكم بلاد كجرات الملك المظفر احمد بن محمود المتوفى سنة ٩٣٢هـ ، وقد كان رجلا فاضلا محبا للعلم و أهله ، و كان علماء العرب و العجم يقصدونه و يفدون عليه فيكرمهم فى حضرته و يشجعهم على القيام بخدمة اللغة العربية و علومها و آدابها فاتصل الشيخ بهذا الملك الفاضل العادل فرحب به و قربه اليه و أكبره و أنزله المنزلة التى لا يستحقها الا الأمراء و الوزراء ؛ وقد اشتغل الشيخ بحرق ، وهو فى حضرة الملك المظفر ، بالقرأة و التأليف الى جانب القيام بالاقراء و التدريس ؛ و قد كانت هذه الفترة القصيرة من حياته فترة خصبة من ناحية الانتاج العلمى ، اذ الف فى خلالها من الكتب و الرسائل فى شتى الموضوعات حتى أن معظم مؤلفاته ترجع الى هذه الفترة نفسها ، كما أنه قرأ عليه نخبة من العلماء و استفادوا من فضله و أستفاضوا

من علمه الغزير[١] -

**وفات الشيخ** : و يبدو أن المكانة الممتازة التي احتلها الشيخ بحرق الحضرمي في نفوس المستفيدين منه و المتوافدين عليه من طلاب العلم والمنزلة الرفيعة التي فاز بها في حضرة الملك قد جعلت الكثيرين يحسدونه ورأى عباد الدنانير و الدراهم بأن وجوده في البلاط الكجراتي يضر مصالحهم الشخصية ، فبدأوا يتآمرون ضده و يدبرون للقضاء على حياته ، فيقال ان بعض الوزراء المتحاسدين المعادين له دسّوا السّم في طعامه فمات الشيخ رحمه الله ، مسموما في العشرين من شهر شعبان سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٢م) ، و قد قارب الثمانين[٢] .

**فضل الشيخ و مكانته العلمية** : ان الاثار العلمية التي تركها الشيخ بحرق الحضرمي قد اكتسبت له مكانة ممتازة في تاريخ العلوم العربية لشبه القارة و من ثم نرى المترجمين له يثنون عليه و يقدرون لما قام به من الخدمات في سبيل اللغة العربية و آدابها ، فقد قال عنه عمر المكي الآصفي[٣]: " انه كان من الائمة المتبحرين في المنطوق و المفهوم و المنثور و المنظوم" ، و يقول عنه أحد الحضارمة فيما كتب في تراجم علماء حضرموت : " الفقيه محمد بن عمر بحرق كان من العلماء المبرزين والائمة المحققين ، ما اقام بموضع الا و أتت اليه الرياسة في جميع العلوم ، و كان سيفاً قاطعاً بالرد على اهل البدع"[٤] ، و مما أثنى عليه صاحب النور السافر في ترجمته له[٥]: " وكان (الشيخ بحرق) من العلماء الراسخين و الائمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ،

---

١- ظفرالواله ١ : ١١٩ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ ، النور السافر ص ١٤٦ .
٢- نفس المصدر .
٣- ظفرالواله ١ : ١١٩ .
٤- الزهراء ٤ : ٩٦ .
٥- النور السافر ص ١٤٦ .

و تفنن بالمنطوق منها و المفهوم ، و تمهر فى المنثور و المنظوم ، و كانت له اليد الطولى فى جميع العلوم ، و صنف فى كثير من الفنون كالحديث و التصوف و النحو و الصرف و الحساب و الطب و الأدب و الفلك و غير ذلك ، و ما رأيت أحدا من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز منه . . . و له نظم حسن و هو أحد من جمع بين ديباجتى النظم و النثر ، فنثره منثور الرياض جاء بها السحائب و نظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب".

و مما يدل على غزارة علمه و خصبة ذهنه و علو كعبه فى اللغة العربية و آدابها قول الشيخ عبدالله بن عمر مخرمة الحضرمى فى تاريخه لحضرموت و علمائها انه هو الشيخ الامام البارع النحوى اللغوى الأديب" ، و قد قال فيه أحد الشعراء و هو يمدحه على تلقيبه ببحرق :

لأى المعانى زيدت القاف فى اسمكم
و ما غيرت شيئا إذا هى تذكر
لانك بحر العلم و البحر شأنه
إذا زيد فيه الشئ لا يتغير

و فيه يقول الآخر :

فأنت بحر و قاف ماله طرف
محمد اسمك المعروف موصوفاً

و يذكر عبد القادر العيد روس[1] بانه وجد ورقة بخط الشيخ بحرق جاء فيها بفرع فقهى غريب يبنى على ما عرف عند الفقهاء من أن كل ما كان بناءه الظن الفاسد لا يترتب عليه أحكام الشرع ، و هذا نص الفرع الذى استخرجه الشيخ على أساس هذا الأصل : "لو صدر منه لفظ محتمل للطلاق

---

١- النور السافر ص ١٥٠ .

فظنه طلاقا أو أفتاه جاهل بوقوع الطلاق البائن فأقر عند الشهود أنه طلقها أو أنشأ طلاقا آخر مع اعتقاده بانها قد بانت باللفظ الأول ، لم يؤاخذ باقراره و لم يقع الطلاق الثانى لانه مبنى على ظن فاسد ".

أما مؤلفات الشيخ بحرق فهى كثيرة غزيرة و ناهيك ما قال عنها شمس الشموس[1] : و بالجملة فانه كان آية من آيات الله تعالى و كتبه تدل على غزارة علمه و كثرة اطلاعه ، و كان غاية فى التحقيق وجودة الفكر و التدقيق" و هذه المؤلفات ، التى تتناول شتى الموضوعات و المواد كالتفسير والحديث و السيرة والتاريخ و العقائد و الفقه و التصوف و الكلام و الأدب و الموسيقى ، يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أنواع فالنوع الأول ماتم تحقيقه و نشره ككتاب نشر العلم فى شرح لامية العجم ، يوجد له عدة نسخ و قد طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ ؛ و تحفة الأحباب و طرفة الأصحاب" فى شرح ملحة الاعراب و قد طبع فى القاهرة أكثر من مرة ؛ و رسائل بحرق الحضرمى و هى أربعة رسائل تحتوى على أسئلة و أجوبتها ، وقد فرغنا من تحقيقها و نشرها فى مجلة الكلية الشرقية بلاهور سنة ١٩٧٤م ؛ و ترتيب السلوك الى ملك الملوك و هى الرسالة فى التصوف و السلوك بين يدى القارئ الكريم الآن .

أما النوع الثانى من مؤلفات الشيخ فهو ما لم يطبع بعد و يوجد لها نسخ فى شتى مكتبات العالم كترجمة المستفيد ومتعة الأسماع بأحكام السماع والعقد الثمين ؛ أما النوع الثالث من مؤلفات الشيخ فهى التى لم يعثر على وجودها و لم يبق لها الا الأسماء وهى : تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية و الأسرار النبوية فى اختصار الأذكار النووية و مختصر الترغيب و الترهيب للمنذرى و الحديقة الانيقة فى شرح

---

١- النور السافر ص ١٥٠ .

العروة الوثيقة و عقد الدر فى الايمان بالقضاء و القدر و الحسام المسلول على مبغضى الرسول و العقيدة الشافعية و مختصر المقاصد الحسنة و حلية البنات و ذخيرة الاخوان و النبذة المنتخبة و مواهب القدوس و رسالة فى الحساب و شرح لامية ابن مالك و رسالة فى الفلاح و ارجوزة فى الطب و فتح الرؤف فى معانى الحروف[1] .

شعره : و قد تولع الشيخ بحرق الحضرمى بالشعر وتعاطاه و أجاده لأن الله سبحانه و تعالى كان قد منحه فكرة عميقة و بصيرة ناقدة و فطنة نافذة الى جانب القريحة الخصبة و المعرفة الشاملة باللغة العربية و أساليبها الشعرية ؛ و مع أنه قد ظهر فى عصر من عصور الزوال والانحطاط كسدت فيه العلوم و درست الآداب و قصرت الهمم و كلت العزائم و أزهقت الصناعة المتكلفة روح الشعر فلم يعد له لب ولا عمق من المعانى غير الكلمات الرنانة و التراكيب الضخمة التى كانت تصيغها الطبائع المتكلفة و القرائح المتصنعة العاجزة عن الابتكار و التوليد ، الا أن الشيخ الحضرمى قد استطاع أن يحقق مكانته فى الشعر العربى فنراه يعالجه على شتى أصنافه المتداولة فى عصره و يفتن فى هذه الصناعة ما يشاء و يجيد فى القصائد و المقطوعات و الموشحات والأزجال و المنظومات الفنية فهو فى هذا يشبه شعراء الأندلس و يقلدهم فى كثير من الأشياء .

و يمتاز شعر الشيخ بلفظ سهل رقيق و اسلوب محكم وثيق ، كما أنه يصطبغ بفصاحة اللفظ و رشاقة المنوال ، ولسنا نبالغ اذا قلنا انه يتزعم الشعراء الفقهاء المتأدبين من أمثاله و فى عصره خاصة و فى شبه القارة على وجه أخص كما أنه يتفوق صاحبه بدرالدين الدماميني الذى هاجر مثله من البلاد

---

١- ظفرالوله ١ : ١١٩ ، النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ ، الزهراء : ٤ : ٩٦ .

العربية و قصد ملوك كجرات المظفريين والذى لقى الترحيب منهم كما لقيه الحضرمى و تناول نفس الموضوعات و الفنون التى تناولها مولانا الحضرمى .

و من جيد شعره ما قاله فى الرد على من امتحنه من بعض معاصريه و هو يجهل فضل الشيخ و علو كعبه فى الشعر العربى[1] :

يا من أجاد غداة انشد مقولا
و أفاد من احسانه و تفضلا
ان كنت ممتحنى بذلك فانى
لست الهيوبة حيثما قيل أنزلا
و اذا تبادرت الجياد بحلبة
يوم النزال رأيت طرفى أولا
قسماً بآيات البديع و ما حوى
من صنعتيه موشحا و مسلسلا
لو كنت مفتخرا بنظم قصيدة
لبنيت فى هام المجرة منزلا
من كل قافية يروق سماعها
و يعيد سحبان الفصاحة باقلا
و ترى لبيدكم بليدا قلبه
حصرا و ينقلب الفرزدق أخطلا
و على جرير نجّر مطرف تيهنا
و مهلهلا نبديه نسجاً مهلهلا

---

١- ظفر الوالة ١ : ١١٩ ، النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ .

و لئن تنبأ ابن الحسين فانني
سأكون فى تلك الصناعة مرسلا
أبدى العجائب ان برزت مفاخرا
أو مادحا للقوم أو متغزّلا
لكننى رجل أصون بضاعتى
عمن يساوم بخسها متبذّلا
و أرى من الجرم العظيم خريدة
حسناء تُهدى لليمُ و تُنحلا

و له قصيدة مسمطة على منوال الموشحات الأندلسية يمدح بها شيخه أبابكر العيدروس فيقول :

سأبيح بالغرام كم ذا تستر بعشيقى
و أرفع ذا اللثام أو خذ نصيبى و رزقى
و زدنى فى الملام يا عاذل لا تتبقّى

---

و أستر ذا الكلام فى كل غرب و شرق

---

ما للناس معى إذا هويت كل رعنى
و أحنيت اصبعى فى عشق سلمى و لبنى
و أصغى سمعى لكل معنى و مغنّى

---

و سأشرب من مدام الحب يا صاحِ و اسقى

---

ما فى الحب عار كلا و لا فيه من بأس
سأخلع ذا العذار و أحمله شعرى على الرأس

و أعصى من أشار و أترك رضا الناس للناس

---

من كل مستهام مثلى فيأتى بشقى

---

و الله العظيم لا أرعوى للعواذل
لى رب كريم بجوده الكل الشامل
كرّر يا نديم من مطربات البلابل

---

خذ له يا غلام الدف من كل طرق

---

سأصرّح و أقول عشقت زيد المسمّى
و أغنم ذا القبول من قبل إمّا و أمّا
ما للناس من فضول من ها بهم مات غمّا

---

دعهم فى سلام يسعدهم الله و يشقى

---

سأنثر فى الجلوس عقود در و عقيان
فى ابن العيدروس عالى المقامات و الشأن
منفوس النفوس و منتهى كل انسان

---

طال عمره و دام لكل فتق و رتق

و ممن مدحهم الشيخ بحرق الحضرمى السلطان عامر بن عبدالوهاب الملك الظافر صلاح الدين الأموى (من ٨٩٤ الى ٩٢٣ه) آخر سلاطين اليمن من بنى طاهر و ذلك لما قام به من الأعمال الخيرية النافعة فى عدن و تعز و زبيد كما ذكره الشيخ الامام شمس الدين السخاوى و قال إن

الحضرمى كان قد أنشده هذا الشعر حين لقيه بمكة و أخذه عنه[1] :

أبى الله إلا أن تحوز المفاخرا
فسمّاك من بين البرية عامرا
عمّرت رسوم الدرس بعد دروسها
و أحييت آثار الا له الدواثرا
فأنت صلاح الدين لاشك هذه
شواهده تبدو عليک ظواهرا

وهى نحوعشرين بيتا ؛ و مما امتدح به هذا الملک الصالح الخير هو بيت واحد يحتوى على عشر كلمات :

يا رب كن أبدا معينا ناصرا
شمس الملوک صلاح دينک عامرا

ثم ضمنه فى أربعة أبيات يستخرج منها الضمير من العشر وهى :

أيّدت دينک يا رب العلا أبدا
بناصر لملوک الأرض قد ضهدا
أعنى به عامراً شمس الملوک فكن
ظهيره أبدا فى كل ما قصدا
و ناصرا و معينا فهو شمس ضحى
أخفى نجوم ملوک الأرض منذ بدا
سميته عامرا لما أردت به
صلاح دينک ارغاماً لمن جحدا

---

١- الضوء اللامع ٨ : ٢٥٣ .

و مما يستحسن من شعر بحرق الحضرمى قوله يرثى الشيخ أحمد بن أبى بكر العيدروس[1] :

لمن تبنى مشيّدات القصور
و أيام الحياة الى قصور
و حتى م التهالك و التفانى
على الخداعة الدنيا الغرور
فما يغتر بالدنيا لبيب
و لو أبدت له وجه السرور
فغاية صفوها كدر و أقصى
حلاوتها الى الكاس المرير
الم تر كيف هدّت ركن مجد
و فاضت بحر مكرمة زخور
و روّعت الأنام بفقد شخص
رزيّته على بشر كثير
شهاب ثاقب من نور بدر
تبقى من شموس من بدور
نماه العيدروس و كل قطب
غياث للورى فرد شهير
تناثر عقدهم نجما فنجما
تغيب تحت اطباق الصخور
فوا أسفا على أطواد حلم
اذا استشكلت ملمّات الأمور

---

١- النور السافر ص ١٢٢ .

و واحزناً على تيار جود
يمد بصيب الغيث الغزير
و يا لهفا على اخلاق لطف
يفوق الزهر فى الروض النضير
لئن ذهبوا فقد ابقوا فخارا
يضيق بحصره صدر السطور
ففاقوا الناس احياء و فاقت
ضرائحهم على أهل القبور
فلا يأتى الزمان لهم بمثل
و هل للشمس و يحك من نظير
على تلك الوجوه سلام رب
رحيم غافر بّر شكور
الٰهى كن لنا خلفا و ذخراً
فانك جابر العظم الكسير
و صل على أجل الخلق قدرا
محمد البشير لنا النذير
و من والاه من آل و صحب
على مرالأصايل و البكور

و من دأب العلماء المتفنين و الفقهاء المتولعين بالشعر أنهم ينظمون الألغاز و المعميات العلمية المشكلة الغريبة ، و غرضهم من ذلك تحقيق مكانتهم العلمية و التأثير فى نفوس المخاطبين ، و قد نحا نحوهم صاحبنا هذا و نظم عددا من الألغاز فمن ذلك قوله :

يامتقناً كلمات النحو أجمعها
حدّا و نوعاً و افراداً و منتظمه

ما أربع كلمات و هى أحرفها
أيضا و قد جمعتها كلها كلمه

و قد حل هذا اللغز نثراً فقال : هذا تمثيل الوقف على هاء السكت يعنى قولك : كلمه ، فالكاف فى قولك : كلمة للتمثيل و اللام للجر و الميم أصلها ما الاستفهامية حذفت ألفها و الهاء للسكت !

و قد لا ننصف الشيخ حقه اذا أهملنا جانباً هاماً من شعره وهى القصائد و المنظومات التى نظمها فى شتى الأغراض و الفنون ، فيحدثنا شمس الشموس صاحب النور السافر بأن السطان عامر بن عبدالوهاب كان يراسل الشيخ حسين بن عبدالله العيدروس بقصائد يخبر فيها الشيخ بأموره و يطلب منه الدعاء فكان الشيخ الفقية بحرق ، و هو فى حضرة العيدروس ، يجيب السلطان عنها ، و هذه القصائد مع أجوبتها مذكورة فى كتاب الشيخ احمد بن الحسين العيدروس الذى صنفه فى أخبار والده ، و هى فى غاية الفصاحة و البلاغة ، و أعظم شاهد على فضل مولانا بحرق الحضرمى و ما اوتى من قريحة سمحة فياضة .

و مما نظمه الشيخ بحرق فى الفنون قصيدة عظيمة سماها العروة الوثيقة فى الجمع بين الشريعة و الحقيقة ثم قام هونفسه بشرح العقيدة فسماها الحديقة الأنيقة ثم علق عليها الشيخ عبدالقادر العيدروس و سمى التعليق بالحواشى الرشيقة ؛ وله قصيدة من هذا النوع ختم بها شرحه لملحة الاعراب وحث فيها الطالب على علم العربية عامة و بتلك المنظومة خاصة فيقول :

ان شئت نيل العلم و الآداب  و براعة فى فهم كل كتاب
و تلاوة القرآن حق تلاوة  لفظا و تفسيرا و فصل خطاب
و تلاوة السنن المنيرة تابعاً  آثارها مستوحيا لصواب
و بلوغ غايات البلاغة عارفا  بمواضع الايجاز و الاطناب

فابدأ بعلم النحو فهو أساسها ... لا يمترى فى ذا أولوالألباب
و متى أردت النجح فيه باديا ... فاشدد يديک بملحة الاعراب
رحم الا له امامها من ناظم ... محض النصيحة معشر الطلاب
حاز الفضيلة سابقا فى نظمها ... من قبله و أتى بكل عجاب
و أجاد فى ايضاحه و بيانه ... و الضرب للأمثال و الأعقاب
فجزاه رب الناس خير جزائه ... عنا و اتاه جزيل ثواب
و أحله دار الكرامة عنده ... بالفوز و الزلفى و حسن مآب
و كذا مشائخنا و ايّانا معا ... و الوالدين و سائر الأحباب
ثم الصلوة و السلام على النبى ... المصطفى و الآل و الأصحاب

# رسالة فی ترتیب السلوک الی ملک الملوک

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین و صلی الله علی سیدنا محمد خاتم النبیین و علی آله و صحبه اجمعین و التابعین لهم باحسان الی یوم الدین ، أما بعد فهذه نبذة فی ترتیب السلوک الی ملک الملوک جل و علا ، مشتملة علی مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة ، فالمقدمة فی حقیقة الوصول الی الله تعالی و القرب منه ، و الفصول فی مسافات السیر الی الله تعالی ، و الخاتمة فی آداب الخلوة ، و بالله التوفیق -

مقدمة ، اعلم[1] أن حقیقة الوصول الی الله سبحانه و تعالی هو وصولک الی العلم بجلاله و جماله و کماله و قدسه ، و ما یجب له من الکمال و یستحیل علیه من النقص ، و مایجوز علیه و ما لایجوز ، و ذلک کله علی ثلاث مراتب : نطق باللسان مع اعتقاد جازم بالجنان ، وعلم باقامة البرهان ، و حال بالشهود و العیان ، و حقیقة القرب منه سبحانه و تعالی أن تشهد بقربه منک ، و ذلک ببلوغ مقام الاحسان المسبوق بمقامی الاسلام والایمان ، فعلمت من هذا أن الوصول الیه هو القرب ، و أن له بدایة هی القیام بالجدود ، و غایة هی العیان و الشهود ، و القرب و الوصول لا یکونان الا بسیر ، و السیر هنا معنوی لا حسی ، و المقصد کلما شرف مقداره و عز ،

---

۱- فی الاصل المخطوط : ''علم أن'' و الصواب ما أثبت -

كان الطريق إليه أشق و أخوف و أخطر ، و لكن من عرف ما يطلب[١] ، هان عليه ما يبذل ، فليكن طلبك لربك بقدر حاجتك إليه و شرفك به -

و قد تلخص مما أشرنا إليه أن السير الى الله سبحانه قطع ثلاث مسافات : الاولى سير المريد من ظاهره الى نفسه ، الثانية سيره من نفسه الى قلبه ، الثالثة من قلبه إلى ربه ، و حينئذ تنتهى مسافات السير إلى الله تعالى و يبتدئ في مقامات السفر فى الله عز و جل ، و هو سير الواصلين إلى الله تعالى و ذلك غير متناه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فان مقامات القرب إلى الله تعالى غير متناهية ، لان القرب منه هو المعرفة بصفاته[٢] العلى ، و نعوت جلاله و جماله غير متناهية فلا يزال الواصل إليه يترقى من مقام قريب إلى أقرب منه فى الدنيا و البرزخ و الفردوس الأعلى إلى أبد الآباد ، و من كان قد وصل إلى مقام قريب إلى أقرب منه فى الدنيا فهو أعلى مقاما عند الله تعالى ممن دونه و دون من فوقه ، ولا يزال يترقى فلايدرك من فوقه و لا يدركه من تحته ، يبتغون الى ربهم الوسيلة[٣] أيهم أقرب ، و السابقون السابقون أولئك المقربون[٤] ، و فى ذالك فليتنافس المتنافسون[٥] ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون[٦] -

الفصل الاول فى سير المريد من ظاهره الى نفسه المعبر[٧] عنه بالشريعة و هو اتباع الصراط المستقيم ، صراط الله ، و إن تطيعوه تهتدوا ، ''ان كنتم

---

١- فى الاصل : ''من عرف و ما يطلب'' -
٢- و فى الاصل ''لعلى'' محرفا -
٣- ١٧ (بنى اسرائيل) : ٥٨ -
٤- ٥٦ (الواقعة) ١٠ ، ١١ -
٥- ٨٣ (لمطففين) ٢٦ -
٦- ٣٢ (السجدة) ١٨ ، و فى الاصل بما كانوا يعلمون محرفا -
٧- و فى الاصل : ''المعتبر'' و هو تحريف -

تحبون الله فاتبعونى[١] . . . وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم[٢] ، و لهذا السفر عدة[٣] ، و هو العلم الظاهر ، و بضاعة و هو امتثال الامر و اجتناب النهى ، و ربح و هو الصلاح ، أما العلم الذى هو عدة هذا السفر ، فهو علمان : علم أصول و علم فروع ، فأما علم الاصول فهو علم الايمان المخاطب به القلب المشار إلى أصوله الستة بقوله[٤] صلى الله عليه وسلم : الايمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله ، و باليوم الآخر ، و بالقدر خيره و شره (من الله تعالى) ، و محل ذلك كتب أصول الدين ، و أحسنها كتاب قواعد العقائد من الاحياء[٥] للامام الغزالى رحمه الله تعالى ، و أحضرها أبيات الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعى[٦] رحمه الله تعالى ، و قد شرحها ببسيط و وسيط و وجيز .

و أما علم الفروع فهو علم الاسلام المخاطب به الجوارح المشار الى أصوله الخمسة[٧] بقوله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله و تقيم الصلوة و تؤتى الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، و محل ذلك ربع العبادات من كتب

---

١- ٣ (آل عمران) ٣١ .
٢- ٢٤ (النور) ٦٤ .
٣- و فى الاصل غدة و هو تصحيف .
٤- صحيح مسلم كتاب الايمان الحديث الخامس و السابع منه .
٥- راجع احياء علوم الدين ١ : ٦٧ من طبعة الشيخ موسى الكتبى بمصر ، ١٣٢٦هـ .
٦- هو عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن على (٦٩٨-٧٦٨هـ) و لم أطلع على ابياته و لا على شروحها الثلاث .
٧- رواه البخارى و مسلم فى كتاب الايمان ، و فى الاصل : الى أصوله الخمسة محرفا .

الفقه ، و أحسنها كتاب الاذكار[١] للشيخ محى الدين النووى رحمه الله تعالى إلا أنه مقصور على الاقوال دون الهيئات و الافعال ، و قد اختصرته فى نحو ربع حجمه ، و أضفت اليه مع ذلك زيادات كثيرة تشتد حاجة السالك إليها -

و أما العمل الذى هو بضاعة هذا السفر فهو قسمان : امتثال الاوامر المسمى البر و اجتناب المناهى المسمى التقوى ، فأعمال البر من الطهارة و الصلاة و التلاوة و الذكر و الصدقة و الصوم و الحج وغيرها أدوية للقلوب و أغذية جعل الله سبحانه بها شفاء ها و حياتها لأسرار مودعة فيها تطمئن بها القلوب و تنقاد بها النفوس ''ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر[٢]'' و أعمال التقوى من اتقاء الكفر ثم اتقاء البدعة ثم اتقاء المعاصى كالقتل و الظلم و الزنا شرط لقبول أعمال البر التى هى حرث الآخرة ''انما يتقبل الله من المتقين[٣]'' كما أن الحيوة و سلامة الأعضاء و الصحة شرط لكسب المعاش الذى هو حرف[٤] الدنيا ، فبالكفر يموت القلب ، و بالبدعة يعمى عن سلوك الطريق : أو من[٥] كان ميتا فأحييناه ، و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها'' ، و بالمعاصى يمرض (القلب) فيضعف عن السير ، و بأعمال البر يصح و يشفى : ''و أقم[٦] الصلوة طرفى النهار و زلفا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين'' ، و مدار التقوى على كف القلب عن اعتقاد الكفر و البدعة ، و كف اللسان و السمع و البصر و

---

١- هو يحى بن شرف الشافعى النووى (٦٣١-٦٧٦هـ) ، و قد طبع الاذكار النووية فى مصر فى سنة ١٩٥٥ع -

٢- ٢٩ (العنكبوت) ٤٦ -

٣- ٥ (المائدة) : ٢٨ -

٤- فى الاصل خرف الدنيا و أراه محرفا ، و صوابه حرف الدنيا و هو من قولهم : حرف لعياله أى كسب من هاهنا و هاهنا -

٥- ٦ (الانعام) ١٢٢ -

٦- ١٢ (هود) ١١٥ -

البطن و الفرج و اليد و الرجل عن فعل ما نهى الله عنه ـ

و أما الصلاح الذى هو ربح هذا السفر فهو الفوز بالجنة و النجاة من النار فى الآخرة و الاتصاف بصفات الأبرار المتقين فى الدنيا : ''و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و آتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و فى الرقاب و أقام الصلوة و آتى الزكوة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصابرين فى البأساء و الضراء و حين البأس أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون[1] . . .'' ان المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات و الحافظين فروجهم و الحافظات و الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات أعد الله لهم مغفرة و اجرا عظيما[2] . . . ''ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك و فى ذلك فليتنافس المتنافسون[3] . . .''

الفصل الثانى فى سير المريد من نفسه الى قلبه المعبر عنه بالطريقة و هو التخلق بالخلق العظيم الذى أثنى الله به على رسوله الكريم ، و لهذا أيضا عدة و هو العلم الباطن ، و بضاعة و هو تزكية النفس عن الاخلاق المذمومة و تحليتها[4] بالاخلاق المحمودة ، و ربح و هو الهداية و الفلاح ـ

---

١- ٢ (البقرة) ١٧٨ -
٢- ٣٣ (الاحزاب) ٣٦ -
٣- ٨٣ (المطففين) ٢٣-٢٧ -
٤- فى الاصل ''تخليتها'' و هو تصحيف ـ

أما العلم الذى هو عدة هذا السفر فهو العلم بالموانع العائقة[1] عن الشروع فى السير و معرفة العوارض الحادثة فى أثناء الطريق الموجبة إما لحرمان الوصول أو التخلف عن الرفقة و طول الطريق ، و معرفة القوادح المفسدة للبضاعة ، و معرفة البواعث الحاملة على تحمل مشاق السفر ، أما العوائق فكالدنيا و الشيطان و الخلق ، و أما العوارض فكالرزق و المخاوف و القضاء و الشدائد ، و أما القوادح فكالريا و العجب ، و أما البواعث فكالخوف و الرجاء -

و أما العمل الذى هو بضاعة هذا السفر فهو المجاهدة لقطع[2] العوائق و دفع العوارض و صون البضاعة عن المفاسد ، أما علاقة الدنيا فقطعها بالزهد فيها ، و أما علاقة الخلق فقطعها بالعزلة ، و أما علاقة الشيطان فقطعها بالالتجاء الى الله و محاربته و معرفة مكائده ، و معرفة الزهد و حقيقته و معرفة شروط العزلة ، و أما الرزق فكفايته و الدفع بالتوكل على الله ، و أما المخاوف فكفايتها بالتفويض الى الله ، و أما القضاء فكفايته بالرضا ، و أما الشدائد فكفايتها بالصبر مع معرفة حقيقة التوكل و التفويض و الرضى و الصبر ، و أما الريا فالصيانة عنه بالاخلاص ، و أما العجب فالصيانة عنه برؤية الفضل و المنة لله تعالى ، فمعرفة هذه العوائق المانعة و العوارض القاطعة و أضدادها الدافعة هو على الطريقة ، و هو حقيقة التصوف ، و محله[3] مستوفى بالكمال فى ربع المهلكات و ربع المنجيات من احياء علوم الدين[4] ، و أحسن المختصرات

---

١- كذا ، و كان له أن يقول : العوائق المانعة حتى يصح و يترتب عليه قوله فيما بعد : ''أما العوائق الخ -

٢- فى الاصل : ''يقع العوائق'' محرفا مصحفا -

٣- و فى الاصل محلة .

٤- من كتاب عجائب القلب الى آخر كتاب ذم الغرور من احياء علوم الدين ، و يشتمل عليه الجزء الثالث من طبعة الشيخ موسى الكتبى .

فيه منهاج العابدين[١] ـ

و أما الهداية والفلاح الذى هو ربح هذا السفر فهو حيازة زينة النفس المطمئنة الموعود عليها بالرضى فى العقبى : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية[٢]'' ، والاستقامة فى الدين : '' والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[٣]'' ، و حيازة مقام الزهد فى الدنيا الموجب لمحبة الله : ازهد فى الدنيا يحبك الله ، و مقام المعزلة الموجب لسلامة الدين ، و مقام الالتجاء الموجب للكفاية : '' ان عبادى ليس لك عليهم سلطان[٤]'' ، و مقام التوكل الموجب لأن يكون الله متوليا له فى جميع الأمور : ''ومن يتوكل على الله فهو حسبه[٥]'' ، و مقام التفويض الموجب للراحة فى الحال و خيرة الله له الصلاح فى الاستقبال[٦]'' : و أفوض امرى الى الله ، ان الله بصير بالعباد . . .'' ''فوقاهم الله سيئات ما مكروا'' ، و مقام الرضى الموجب لرضى الله تعالى ''رضى الله عنهم ورضوا عنه[٧]'' ، و مقام الصبر الموجب للتمكين فى الدنيا : ''وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا[٨]'' ، و مضاعفة الأجر فى الآخرة : ''انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب[٩]'' ، ومقام الاخلاص و الصدق الموجب للقبول فى العقبى : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا

---

١- وهو ايضا للامام الغزالى رحمه الله ، و من أجمل شروحه شرح الشيخ نخلان الكديرى المسمى سراج الطالبين على منهاج العابدين الى جنة رب العالمين .

٢- ٨٩ الفجر ٢٨—٢٩ .

٣- ٢٩ العنكبوت ٧٠

٤- ١٥ الحجر ٤٣ .

٥- ٦٥ الطلاق ٤ .

٦- ٤٠ المومن ٤٥ .

٧- ٩٨ البينة ٩ .

٨- ٣٢ السجده ٢٥ -

٩- ٣٩ الزمر ١١ .

ولا يشرك بعبادة ربه احدا[١]'' ، و التحق بمقام العبودية فى الدنيا : '' انه من عبادنا المخلصين[٢]'' و مقام رؤية الفضل من الله سبحانه الموجب للتوفيق و التائيد ، التحق[٣] بالشكر الموجب للمزيد : ''لئن شكرتم لأزيدنكم و لئن كفرتم ان عذابى لشديد[٤]'' ، و مقام الخوف و الرجاء المتقدمين من الأمن من مكرالله و من اليأس من روح الله : ''فلا يأمن مكرالله الا القوم الخسرون[٥] . . . ''ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون[٦]''.

الفصل الثالث فى سير المريد من قلبه إلى ربه المعبر عنه بالحقيقة ، و هو محو ما سوى الله تعالى عن القلب بمداومة الأنس بذكره ، و لهذا السفر ايضا عدة و بضاعة و ربح ، أما عدته فهو صلاح الظاهر و الباطن الحاصلين من البر و التقوى الذى هو ربح السفر الاول ، و من الفلاح و الهدى الذى هو ربح السفر الثانى المشار اليهما بقوله صلى الله عليه و سلم : إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله (و إذا فسدت فسد الجسد كله[٧]) ألا وهى القلب ، فصلاح القلب و الجسد شرط للتوجه لهذا السفر كشروط الصلاة من الطهارة عن الحدث و الخبث و استقبال القبلة لأن هذا السفر هو صلاة القلب : ''قد افلح من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى[٨]'' ، وهو مبدأ سفر الانبياء عليهم الصلاة و السلام : ''انى

---

١- ١٨ الكهف ١١١ .
٢- ١٢ يوسف ٥ و فى الاصل أنه كان من عبادنا المخلصين محرفا .
٣- فى الاصل التحقيق .
٤- ١٤ ابراهيم ٨
٥- ٩ الاعراف ١٠٠
٦- ١٢ يوسف ٨٨
٧- التكملة من البخارى ، فى كتاب الايمان من باب فضل من استبرأ لدينه ؛
٨- ٨٧ الاعلى ١٥—١٦

ذاهب الى ربي سيهدين[١]" . . . "انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض[٢]" ، و معنى الذهاب الى ربه و التوجه اليه العبور بالباطن و عما سوى الله تعالى حتى لا يزول الالتفات الى السوى بالقلب ، و القلب بحيث لا يكون له مطلب الا وجه الله تعالى فحينئذ يؤذن له فى القرب و يحصل له الأنس و الابتهاج بجمال الله و جلاله ، و ما دام ملتفتا الى غير وجه الله تعالى من دين أو دنيا أو أجر أو أخرى أو منزلة عند الله تعالى أو اقرب منه أو علم أو عمل أو كمال نفس أو التحاق بملك مقرب أو نبي مرسل فهو محجوب عن نيل هذا المقصود لأن تلك المرادات و ان كانت من أرفع المقامات فهى نوع من الشرك عند القوم "وحسنات الأبرار سيئات المقربين" حتى المعرفة بالله لأنها مرادة لغيرها لكونها طريقا الى المعروف المقصود بالذات ، و حقيقة العبادة أن تعبدالله لذاته و هو كونه مستحقا لذلك الآن كما أنه مستحق لذلك قبل ايجاد الموجودات من العدم فيكون العبد معه الآن كما كان فى الأزل كان الله ولا شيئ معه و هوالان على ما عليه كان فلا ينال القرب المحض فى هذا المقصد الا فقير موحد متحقق بالفقر و التوحيد ليكون عبدا حقا فانه سبحانه كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك فالعمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه .

و أما بضاعة هذا السفر فهى الانقطاع الى الله بالاعراض عما سواه و ملازمة ذكره : "و اذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا[٣]" ، وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : سبق المفردون الذاكرون الله كثيراً ، و بذلك

---

١- ٣٧ الصفت ١٠٠

٢- ٧ الانعام ٨٠

٣- ٧٣ (المزمل) ٩ -

يحصل الانس ثم القرب ، و لذلك طريقان افضلهما و أجلهما قدرا طريق السلف ، و هى مراقبة الاوقات و عمارتها بالأوراد المشروعة من صلوة و ذكر و تلاوة مع الخضوع و الخشوع و حضور القلب و التدبر ، و من صوم و صدقة و حج بآدابها و استعمال اسرارها[1] الموجبة لتصفية القلب و تصقيله التى هى طريق الى انتقاش جمال الحضرة الربوبية فيه كما ذكر ذلك الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى اسرار العبادات من الاحياء ، و قد جردتها لطالبها فعليك بها فهى الكنز الذى لايكاد يظفر به فى غير الاحياء ، و قد انكشف لارباب البصائر ان المراد من الصلوة و الذكر أنس القلب بالله تعالى ، فانس القلب بالله سبحانه هو لباب العبادات و أعمال الظواهر قشوره التى لايتوصل إلى اللب إلا بها ، فاول مراتب الذكر ذكر اللسان و اعمال الجوارح ، و ثانيها ذكر اللسان مع تكلف حضور القلب ابتداء اذ طبعه الاسترسال فى اودية الأفكار ، و ثالثها أن يتمكن الذكر من قلب الذاكر ويستولى عليه بحيث يحتاج الى تكلف فى صرفه عنه الى غيره ، عكس الاول ، و رابعها و هو مقصود الذاكرين ان يتمكن المذكور من قلب الذاكر ، و هذه الحالة هى التى عبر عنها العارفون بالفناء و هو انتهاء سفر المريد و أول سفر الواصل كما سبقت الاشارة اليه ، و لكن الفناء و التمكن اول مايكون للذاكر فى بعض الاوقات دون بعض ، فتسمى تلك احوالا ، فاذا دام و استمر سمى مقاما ، فاذا صار كذلك طالع الوجود الحقيقى الأصفى و تجلت له حضرة الربوبية نقشا فى مرآة قلبه كما تتجلى السموات و الارض فى المرآة ، هذه الحالة هى ربح هذا السفر ، و اختصت هذه المكاشفات بحالة الفناء التى هى غيبة القلب عن هذا العالم كما اختصت الرؤيا التى هى نوع من المكاشفات بحالة النوم ، فمن وصل الى مقام الفناء بالسير على طريق السلف التى ذكرناها

---

١- و فى الاصل اشرارها و هو تصحيف .

تأهل لمقام البقاء بعد الفناء ، و هو مقام إرشاد العباد و تربية السالكين و لعزته عز مقام الشيخوخة فى هذه الازمنة الذى هو مقام الوراثة[1] المحمدية و اذا تعذر او تعسر ، ووجد المريد من قلبه إرادة صادقة فسبيله ان يلتجئ الى الله سبحانه اولا و يرفع سترعليه ليهئ له من أمره رشدا إما بدلالة أحد من رجال الغيب و إما بتوفيق يلهمه اياه ، فهو سبحانه الذى يتولى الصالحين و ليحذر ان يلقى نفسه بحسب حسن ظنه الى اى شيخ يلقاه[2] حتى يكثر استخارة الله تعالى فى ذلك و يشرح الله صدره لذلك فحينئذ ان دله الله على شيخ يصلح للتربية فلايفلح يعتقد ان سعادته على يديه و أنه نائب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى هدايته و تزكيته فيكون حينئذ معتقدا لحرمته و تعظيمه و أنه على هدى من ربه ، و ليتلقى اوامره بالامتثال و القبول التام ملقيا زمام نفسه اليه مطرحا لعلمه و عمله السابق ، حاملا لما يصدرمنه مخالفا لمعتقده على المحامل الحسنة فانه معه كالطفل بين يدى أبويه ، و ليعتقد فى نفسه الجهل ان كان عالما ، و النقص ان كان كاملا ففوق كل ذى علم عليم[3] ، و لا يطلب الخلوة الا ان يأمره بها فهو أعرف بمصلحته و أنصح له من نفسه فانه أمين الله و طبيب مرض النفوس ، العالم بدائها ودوائها فان أمره بالخلوة فهو أعلم بما يأمره به من آدابها و شروطها من ابتدائها الى انتهائها ، لكن ينبغى ان يعتقد ، اذا دخل الخلوة بأمر شيخ ، انها كالقبر[4] فيودع الدنيا و أهلها و لا يحدث نفسه بالخروج منها ابدا ، و ليعلم شيخه[5] بجميع امورہ و ما يحدث له فيها من خاطر أو

---

١- و فى الاصل : الوارثة محرفا -
٢- و فى الاصل : يلقاء -
٣- ١٢ (يوسف) ٧٧ -
٤- فى الاصل كالبقر محرفا -
٥- و فى الاصل : شخيه -

هاتف أو رؤيا لانه الطبيب ، و الطبيب إنما يعالج بعد معرفة العلة فانه اذا كان عامل الشيخ بهذه المعاملة جائته الامداد الالهية و العلوم اللدنية ''و ذلک فضل الله ، يؤتيه من يشاء و الله ذوالفضل العظيم[1]'' .

خاتمة ، من لم يتيسر له شيخ واراد دخول الخلوة فليقدم الاغتسال و غسل ثيابه و مصلاه و يهيئ أسبابه بحيث لا يحتاج الى الخروج و يرتب لحوائجه من قوت وغيره صديقا لا يجتمع بغيره و لا به الا فى وقت معين ، و لتكن الخلوة بعيدة عن الاصوات ، و ليصل فى الخلوة ركعتين بنية التوبة ثم يجدو[2] كلمتى الشهادة بصدق و حضور قلب ثم يتوب الى الله تعالى توبة ندم[3] وبكاء و تضرع بحيث يطلع الله منه على صدقه و عزمه ان لا يعود الى معصية أبدا ، ثم ليلازم الجوع فيكون صائما مقتصرا على قدر معلوم من الطعام و الماء ، مقتصد الا يزيد عليه أبدا و لا يكثر منه فيظلم القلب و يثقل الاعضاء عن الطاعة و الا يقلل منه جدا فتضعف القوى ، و ليكن حلالا طيبا بحسب اعتقاده بعد اجتهاده فان الحلال له تأثير عظيم فى تنوير القلب ، و ليلازم السهر فلاينام الا فى وقت معلوم فان كثرة النوم تميت القلب ، و ليلازم الذكر فيقتصر على ملازمة ذكر واحد لا يتركه إلا فى حالة الفرائض اوروايتها ، و الافضل عند الامام الغزالى رحمه الله وغيره ان يكون ذكره لا اله الا الله متدبرا لمعناها صارفا للوسواس[4] عن قلبه متكلفا لذلک غاية جهده فاراً ''الى الله بباطنه ملتجأ اليه مستعيذاً به[5] من الشيطان الرجيم حتى تألف نفسه الذكر بحيث يجرى على لسانه و يخطر

---

١- ٥٧ (الحديد) ٢٢ -
٢- و فى الاصل : يجدو ،
٣- و فى الاصل قدم و هو تحريف -
٤- و فى الاصل للوسوس -
٥- و فى الاصل مستعيدا محرفا -

بباله بغير اختياره[1] فانه حينئذ يعود الى حالة لا يحتاج الى كلفة فى صرف الوسواس عن قلبه ثم إلى حالة لا ينصرف قلبه عن الذكر إلا بكلفة ثم الى حالة يتمكن الذكر فى قلبه بحيث ينمحى أثر اللسان و يبقى فى ذهنه المعنى مجردا عن اللفظ لا يزايل ذهنه ، و يكون القلب حاضرا ذاكرا على الدوام من غير لسان ثم يعود إلى حالة بحيث لايبقى فيه جزء إلا ذاكرا لله ناطقا بذلك الذكر بعينه بحيث يظن من يسمعه ان معه فى خلوته الف ذاكر لله ثم يغلب[2] عليه حال الذكر فلا ينظر فى الوجود شيئا يقع عليه نظره الا معلنا بذلك الذكر بعينه بحيث لوكان عنده الف شخص كل منهم يذكر بذكر مخالف للاخر لم يسمعهم ينتطقون الا بذكره الذى غلب عليه ، و حينئذ يبقى منتظرا لما يفتح الله به على قلبه من رحمته و علم غيبه ، و اول ما يظهرلهم غالبا انوار إلهية كانها البرق الخاطف تلمع بسرعة و يختفى و هى لذيذة[3] جدا يحصل بوجودها الوجد و باختفائها الحنين اليها ، و ربما كانت بطيئة العود ، و ربما غشيته انوارها فيضطرب و يغيب عن حسه و يصيح و يصعق لمفاجاة ماليس بمعتاد ، فاذا الفها انس بها و اطمأنت بها نفسه حتى يصير وجود ها ، و هو حاضر بيّن ، كعدمها فيظنون انه حاضر و هو غائب القلب عنهم ثم يصير قلبه بالمرآة المجلوة فيكون مقابلا للجناب القدس فيصير كل شى كانه مشاهد للحق سبحانه علما و حالا فانيا عن نفسه فضلا عن خيرها فحينئذ يعبد الله كانه يراه و يشهده ، أقرب اليه من حبل الوريد رقيبا عليه فيعبر عن هذه الحالة بالفناء و بالوصول و بالقرب و هو مقام الاحسان المشار اليه[4]

---

١- و فى الاصل اختاره -

٢- و فى الاصل بقلب ،

٣- و فى الاصل لزيدة محرفا -

٤- و عبارة الاصل : و هو المقام الاحسان و المشار و اراه محرفا -

بقوله صلى الله عليه و سلم : ان تعبد الله فانک تراه[1] ، و هو آخر سير المريد و يبتدئ في السفر الى الله اى فى معرفة الله و معرفة اسمائه و صفاته العلى و نسال الله تعالٰى ان يجعلنا ممن رقاه بفضله الى المقام الأسنى و قال فيه : ''فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما''[2] بمنه و كرمه وجوده و نعمه و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم[3] تسليما ـ

☆ ☆ ☆

---

١ـ كذا ، و هو غريب بهذا اللفظ ، ورواه البخارى فى كتاب الايمان فى باب سوال جبريل النبى صلى الله عليه و سلم و لفظه : ''قال ما الاحسان قال ان تعبد الله كانک تراه فان لم يكن تراه فانه يراک و ايضا راجع صحيح مسلم كتاب الايمان الحديث الاول منه ـ

٢ـ ١٨ (الكهف) ٦٦ ، و فى الاصل : ''و علمنا من لدنا و علما'' و هو تحريف قبيح ـ

٣ـ و فى الاصل ''و السلم تسليما'' ـ